لعنة الوراثة

أثناء حملي، كان الحب يجري في عروقي ويغذي جنيني، وتمنيت أن يولد «آدم» وقد ورث عن أبيه طيبة القلب والحنان واتساع الأفق والقدرة على الحب غير المشروط، وغيرها من صفاته الحميدة الفريدة. في عقلي، تخيلتني وأنا أمسك بالكروموسومات وأنسخها وأقسمها وأوزع الجينات وأخلق الدي إن إيه. كان لي ما تمنيت! ولد «آدم» طيبًا حنونًا رقيقًا حساسًا ذكيًّا جميلًا – شكلًا وموضوعًا. ورث أيضًا الديسجرافيا والديسلكسيا والديسبراكسيا. كلما كبر قليلًا، مثل البرعم المتفتح، ظهرت صفاته الجميلة المبهجة ومعها مشكلات الجهاز العصبي وصعوبات الحركة واللغة.

لماذا لا ينفخ الفقاعات؟ لماذا لا يشفط السوائل بالشفاطة؟ لماذا لا يقلد الأصوات؟ لماذا يقع كثيرًا؟ لماذا لا يجري؟ لماذا لا يقفز؟ لماذا لا يتكلم؟ لماذا يتكلم بلغة لا يفهمها سواي؟ لماذا لحديثه إيقاع غريب؟ لماذا يجد صعوبة بالغة في تذكر شكل الأرقام؟ لماذا لا يمكنه ربط شكل الرقم ومدلوله؟ لماذا لا يمسك بالقلم بطريقة مضبوطة؟ لماذا لا يتتبع الخطوط؟ لماذا يختلط عليه شكل الحروف؟ لماذا يتعثر في القراءة؟ لماذا يتلعثم في الكلام؟ لماذا يكتب

بصعوبة وبطء؟ لماذا هذا العداء الشديد بينه وبين اللغة؟ الكثير من الأسئلة عرفت إجاباتها خلال الرحلة.

عندما قررت تعليم «آدم» منزليًّا، لم أكن أعرف أي شيء عما ستفعله بنا الكروموسومات والجينات. عندما بدأت دراسة المونتيسوري، لم أكن أعرف أن هذه الفلسفة، وتلك الأدوات والأنشطة، ستكون أسلحتي في مواجهة عوامل الوراثة. باستخدام أدوات المونتيسوري للطفولة المبكرة، يمكن أن نساعد طفلًا يعاني من عسر القراءة أو الكتابة. المهم أن نعرف الطفل حق المعرفة لنتمكن من مساعدته، لهذا لم أتمكن من مساعدة أي طفل آخر سوى «آدم».

عادت بي سلسلة مقالاتي عن «التلميذ الخائب» إلى سنوات دراستي، وبدأت أسترجع ذكريات خيبتي الشخصية ووجوه زملائي وزميلاتي من الخائبين والخائبات، هكذا كانوا يطلقون عليهم!

أتذكر الآن وجه «ن» في حصة اللغة الإنجليزية في الصف الخامس الابتدائي، كنا نجلس في فصل مكتظ نستنشق روائح أجسادنا، وذرات الطباشير والرذاذ المتطاير من فم المدرسة الصارخ، حتى نسمعها ونفهم كلامها! في هذه الحصة كنا نقرأ بالدور. كلنا نمسك نفس الكتاب ونقرأ واحد تلو الآخر سطرًا أو سطرين بصوت عالٍ. جاء الدور على «ن» وسمعت صوتها المتقطع وهي تحاول أن تقرأ وسط غضب المعلمة، قرأت «ن» وكأنها لا ترى الحروف وكأنها لا تدري معنى ما تقرأ فجاءت كلماتها كالطلاسم المبهمة التي أغضبت المدرسة وأضحكتنا جميعًا.

لم تكن «ن» الوحيدة في فصلي التي كانت تتعثر في القراءة، بالعربية أو الإنجليزية ولم تكن «ن» الوحيدة الخائبة في الإملاء ولم تكن «ن» الوحيدة التي لا تفهم القواعد النحوية ولم تكن «ن» الوحيدة التي تعكس الحروف في بعض كلماتها المنطوقة. في نهاية سنوات دراستنا الثانوية، أتمت «ن» دراستها معنا والتحقت بالجامعة وتخرجت ولكن رحلتها في التعليم كانت معاناة وعذابًا نفسي وبدنيًّا وعقليًّا!

اليوم أعرف أن «ن» لم تكن خائبة أو غبية أو محدودة القدرات! «ن» كانت تعاني من

إحدى صعوبات التعلم ولم تحظ بالاهتمام الكافي أو بالمساعدة المطلوبة لمساعدتها في التعايش مع مشكلتها! مشكلة «ن» لها اسم، اسمها ديسلكسيا Dyslexia وهي من ضمن إعاقات التعلم! الشخص المصاب بالديسلكسيا يبدو لك كشخص طبيعي في كل شيء، وذكاؤه طبيعي أو فوق العادي أحيانًا، ولكنه لا يحصل مثلما يحصل زملاؤه ولا يحقق النتائج المتوقعة من شخص في مثل ذكائه أو من شخص يستذكر كل هذا الوقت! في أغلب الأحيان يتم التعرف على من يعاني من الديسلكسيا بعد دخول المدرسة، وفي أول المرحلة الابتدائية نراه مثل «ن» غير قادر على القراءة، أو يقرأ بصعوبة بالغة، وغير قادر على تذكر نطق أو هجاء الكلمات، ويعاني معاناة شديدة في تعلم اللغات.

الطفل المصاب بالديسكالكوليا Dyscalculia تراه أيضًا طفلًا طبيعيًّا في كافة النواحي! هو طفل ذكي ونشيط وليس لديه أي مشاكل في الإدراك، ولكنه يعاني معاناة بالغة مع الأرقام! قد تلاحظ أن طفلك غير قادر على العد! لا يتذكر الأرقام وترتيبها أو أسماءها مهما كررتها! لا يمكنه الربط بين الرقم وشكله ولا يمكنه التعرف على الأرقام وإدراكها على نتيجة شهرية أو صفحة كتاب أو يافطة إعلانية. غير قادر على ترتيب الأحداث واتباع الخطوات وفهم المسائل الكلامية. تجد طفلك قد بدأ عامه الأول الابتدائي وهو متخبط ويجد صعوبة بالغة في تمييز علامات الجمع والطرح والضرب والقسمة وغير قادر على مواكبة أقرانه في العمليات الحسابية البسيطة.

أما الديسجرافيا Dysgraphia، في مشكلة، مثلها مثل الديسلكسيا والديسكالكوليا، قد تكون بسبب عوامل جينية ووراثية تؤثر على المخ وقدرته على التعامل مع الكلمات والأرقام والورقة والقلم بصورة طبيعية. معنى كلمة «ديسجرافيا» هو صعوبة بالغة في استخدام القلم وكتابة الحروف والتعبير عن الذات كتابيًّا. الطفل المصاب بالديسجرافيا قد يبدو كسولًا وقد تظنه مهملًا ولكنه في واقع الأمر لديه مشكلة! في أغلب الأوقات يعاني الطفل من أكثر من صعوبة من صعوبات التعلم.

هذه بعض النقاط التي تشير إلى أن الطفل مصاب بالديسجرافيا:

- يجلس بطريقة «عجيبة» عندما يكتب.

- يمسك القلم بطريقة «غريبة» عندما يكتب.
- يكتب ببطء شديد ومع ذلك خطه سيئ.
- يجد صعوبة في كتابة الحروف وتذكر شكلها وتذكر شكل الكلمات التي يحاول كتابتها.
- قد تلاحظ أنه لا يستطيع الالتزام بالسطر وقد تلاحظ أنه لا يترك مسافات بين الكلمات أو يترك مسافات غير متساوية أو غير مقبولة.
- يتعب بسرعة من فعل الكتابة ويكره الواجبات الكتابية.
- خطه غير مقروء أو مائل للخلف أو مائل للأمام.
- مهما تدرب على الكتابة لا يتقنها.
- لديه صعوبات في الرسم وفي استخدام المقص وأحيانًا في ربط رباط حذائه.

أثناء دراستي لدبلومات المونتيسوري المختلفة، درست صعوبات التعلم بصورة مبسطة. مع ذلك، استطعت الربط بين نهج المونتيسوري وكيفية التغلب _قدر المستطاع_ على الإعاقات المختلفة. للأسف لا يوجد علاج لصعوبات التعلم ولكن بالمساندة واستخدام أدوات بديلة لأدوات التعليم التقليدي، تمكنت من مساعدة ابني.

يساعد نهج المونتيسوري هؤلاء الأطفال من خلال:

- تقديم التجربة التعليمية الحسية، أيًّا كان ما يحاول الطفل تعلمه، لا يعتمد فقط على الكتاب المقروء! يستخدم الطفل جميع حواسه للتعلم، يلمس ويسمع ويرى ويشم ويتذوق ويتذكر ويقارن ويطابق ويدرك الخواص من زوايا مختلفة.
- أدوات المونتيسوري كلها مصنوعة من الخشب ولكل أداة ألوانها وأهدافها التعليمية.
- هناك أدوات وأنشطة كثيرة لتساعد الطفل في تذكر شكل الحروف والأرقام، وهناك أدوات أخرى مخصصة لتقوية عضلات يديه وأصابعه وقدرته على التحكم بالقلم.
- التدرج من السهل إلى الأصعب فالأكثر صعوبة، ويتم هذا التدرج بناءً على سرعة استيعاب الطفل واستجابته.
- التدرج من الملموس المحسوس إلى الرمزي أو المجرد والمبهم – مثل الحروف المصنوعة من ورق الصنفرة ثم الانتقال إلى الحروف المتحركة ثم الانتقال إلى الحروف المكتوبة.

- استخدام «درس الثلاث فقرات» في الدرس الواحد – هذا كذا. أين كذا؟ ما هذا؟
- مراجعة الدروس الماضية أو الخطوات السابقة قبل الانتقال إلى الدرس الجديد.
- تقسيم كل شيء إلى أجزاء وخطوات صغيرة يسهل على الطفل استيعابها.
- أغلب دروس المونتيسوري وأنشطته تقدم للأطفال كل على حدة وبعضها في مجموعات صغيرة.
- يهتم نهج المونتيسوري بتقوية ذاكرة الطفل من خلال تدريبات الذاكرة. في أغلب الأنشطة، يطلب من الطفل الذهاب إلى طاولة ما وإحضار _مثلا_ حيوان يبدأ بصوت ب. النوع الثاني من تدريبات الذاكرة هو أن يطلب من الطفل النظر حوله في الفصل وإحضار حيوان يبدأ بصوت ب.
- يهتم كذلك بتقوية التوافق العصبي بين العين واليد من خلال أنشطة كثيرة مثل اللضم والحياكة واستخدام المقص واستخدام السكين والصلصال والعجين واستخدام الإسفنج لنقل الماء بين الأوعية.

إذا لم تنجح كل هذه التدريبات والأنشطة في تحسين قدرة طفلك على القراءة والحساب والكتابة، يجب أن تستخدم البدائل مثل استخدام ملفات الورد والمصحح اللغوي وغيرها من التكنولوجيا التي تعتبر أدوات تعويضية للطفل. هناك أيضًا استخدام المسجلات بدلًا من الكتابة خلف المعلم، استخدام الملازم المطبوعة بدلًا من الاعتماد على كراس الفصل، والتفاوض مع المدرسة والمدرسين في تقليل حجم الكتابة المطلوب من الطفل سواء في الواجبات أو الامتحانات. في بعض الحالات قد يسمح للطفل بأداء الامتحانات شفهيًّا بدلًا من الكتابة. لا يوجد تلميذ خائب في المطلق ولكن يوجد أهل ومعلمون لا يدركون أن هذا طفل مختلف ويحتاج مساعدة ليحقق ذاته وينمي قدراته ويتعايش مع مشكلته!